وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانيّة
قسم اللغة العربية

أَنمَاطُ خِطَابِ السّلطةِ في النَثرِ العبّاسيّ ـ دراسة نَقْدِيّة ـ

رسالة قدّمتها الطالبة

زَيْنَب علي ثعبان

إلى مجلِس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصص/ الأدب.

بإشراف

أ. م. د. باسم محمّد إبراهيم

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢ م

الفصل الأوّل

الحِجاج في خِطاب السلطة في نثر العصر العباسي

المبحث الأول: الخِطاب الحِجاجي

المبحث الثاني: الخِطاب السياسيّ ـ أنماطه وخصائصه

توطِئة:

إنّ الخِطاب الحِجاجيّ في العصر العباسيّ له أهمّية خاصّة في تحليل الخطابات الإنسانيّة وتفكيكها من وجهة نظر المتلفّظ الحِجاجيّ، إذ يعمل الخِطاب الحِجاجيّ في نثر العصر العباسي على فهم الرسالة الموجّهة نحو المتلقّي، الذي تمثّله الخطبة السياسيّة، بوصفها الأبرز ظهورًا في تمثّلاته.

فتعدّد الخِطاب الحِجاجيّ في العصر العباسي وتنوّعه أصبحَ ركيزةً أساسيّة في الثقافة العربيّة العباسيّة والثقافات الأخرى، وقد تعدّدت أوجه التخاطب الإنسانيّ بتنوّعها بين الخطابات الكتابيّة والشفويّة، وكان الخطاب الحجاجيّ ركيزة النصوص الموجّهة، المتضمّنة للمقصديّة، والنقاش، والنقد، والجدل، والتي منها النصوص القرآنيّة، والنصوص الأدبيّة، والنصوص الفلسفيّة، والنصوص الفقهيّة.

المبحث الأوّل

الخطاب الحِجاجيّ (الإقناعيّ)

تراوحت الدراسات التي درست (الحِجاج)، بين قرنه بمصطلحي (الخطاب) تارة، و(النصّ) تارةً أخرى، تجاوزًا لما بينهما من فروق، تختلف باختلاف المدارس والاتجاهات المتعدّدة.(١)

ومع علمنا بأنّ الحِجاج مفهوم متشعّب وملتبس على الدارسين لتشعّب مجالاته، وتعدّد استعمالاته، وتباين مرجعيّاته، مع صعوبة الإلمام بهِ إلمامًا تامًا نظرًا للاشتباك المصطلحي الذي يقع فيه الباحثون في توضيح ماهيّة المصطلح ودلالاته، وموسوعيّة الفهم أيضًا، فقد اسهمت في اختلاف زوايا نظر الدارسين التي تصل إلى حدّ التقاطع تارة، والتناقض تارةً أخرى، فالضبابيّة ـ بدون أدنى شكّ ـ قائمة على الوسط الثقافي والأكاديميّ العربيّ في مضمون المصطلحات والمناهج، والنظريات الوافدة من الفكر الغربيّ، وقد تعسّر على الباحثين تحديد جوهريّة فحوى تلك المفاهيم والنظريات على الوجه الأكمل، لا سيّما في (الحِجاج) الذي يشوبه الالتباس، لأسباب عدّة أهمّها:

١. اختلاف استعمالات الحجاج وتباين مرجعيّاته: الخُطبة، والخطاب، القضاء، الفلسفة، المنطق، التعليم، ... إلخ.
٢. الترجمة التي تسهم في أحيان كثيرة في إثارة بلبلة المصطلح، وانزياحه نحو مفاهيم متغايرة.
٣. تعدّد مظاهر الحجاج وتنوّعها بين (الحجاج الصريح ـ الحجاج الضمني ...إلخ).(٢)

---

(١) ينظر: الحجاج في الشعر العربي (بنيته وأساليبه): د. سامية الدريديّ، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط٢، ٢٠١١م: ١٥.

(٢) الحجاج والاستدلال الحجاجي: حبيب إعراب، ضمن عالم الفكر، مجلد ٣٠، (د. ط)، ٢٠٠١م: ٩٧/١-٩٨.

وقبل الخوض في هذا المجال واستجلائه، لا بُدّ لنا من العودة إلى معرفة تمهيديّة للمعنى اللغويّ لمفهوم (الحجاج)، والرجوع بشكل عرضي إلى المعجمات العربيّة التي تتكفّل بإضاءة جذر المصطلح.

الحجاج في اللغة:

الحجاج في اللغة من حاجّ ((حاججته، أحاجّه، حجاجًا ومحاجّة حتّى حججتُه، أي: غلبته بالحُجج التي أدليت بها، والحجّة: الدليل والبُرهان)).[١]

وقيل: الحجّة ما دافع به الخصم، وهو رجلٌ مُحاجج أي جَدِلٌ، وحجّهُ يحجّه حجًا: غلبه على حجّته، وقال الأزهريّ: الحجّة الوجه الذي يكون بهِ الظفر عند الخصومة، وقد تراوح المفهوم اللغويّ للحِجاج في المعجمات اللغويّة العربيّة بين الدليل والبرهان والحُجّة، فضلًا عن كونه مرادفًا للجدل، وهي ـ في مجموعها ـ لا تخرج عن الإطار العام الذي يتبنّى طرح الأفكار، بناءً على أسس رصينة، تقوم على حُجج وبراهين ثابتة وواضحة. [٢]

اصطلاحًا:

أمّا الحجاج في الاصطلاح: ((فهو رصد تقنيّات الخِطاب، وترشيح يقنع به المخاطب، أو يحمل على تجنّبه واطّراحه، ويبحث الحجاج في هذه التقنيّات التي تؤدّي إلى التسليم بما يعرض عليها)).[٣]

هدف الحِجاج وغايته المُثلى أن يجعل من عقول السامعين خاضعةً، وقلوبهم مبصرة، تُذعن لِما يُطرح عليها من أفكار ورؤى، وأنجحهُ ما يكون أشدّ تأثيرًا في نفوس

---

(١) لسان العرب: مادة (حجج): ٥٧٠.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة: الأزهري، أبو منصور، محمد بن أحمد (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد الحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (د. ط)، ١٩٦٤م: مادة (حجج): ٣٨٧/٣-٣٩٠.

(٣) الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل: د. علي الشبعان، تقديم: حمادي حمود، دار الكتاب الجديد المتّحد، ليبيا، ط١، ٢٠١٠م: ٨٦.

المتلقّين الذين هيّأهم لتلقّي الطروحات، دون رفضٍ أو معارضة، ولا شكّ أنّ أهمّية هذا التعريف تكمن في توضيح التأثير الحاصل بوساطة تقانات الخطاب الحِجاجيّ على صعيد العقل.

وبعد الاطّلاع على تعريفات الحجاج جميعها، وجدنا تعريفًا متّفقًا عليه له، ((فالحجاج هو ممارسة لغوية طبيعيّة، تقوم بين طرفين أو أطراف عدّة، يسعى كلّ طرفٍ فيها إلى إثبات دعوى ما أو نفيها، أو استمالة مخاطب وإقناعه، مستعينًا بجملة من الوسائل اللغويّة، والبلاغيّة، وشبه المنطقيّة)).[١]

والخطاب الحجاجيّ في مضمونه حوارٌ، يقوم على علاقة ما بين مؤلّف النصّ ومتلقّيه، فهو وسيلة يمكن بوساطتها الكشف عن حقائق الأمور، بوساطة المشاركة والتعرّف على ما عند الآخر من حجج صادقة ومقبولة، إلى نتائج سلميّة وجادّة.[٢]

ولازم الإقناع الحِجاج، إذ مثّل مشاركة بين المُحاور والمُستمع، يحاول المُحاور مشاركة اعتقاداته من غير إكراهٍ وقمع، تمتزج أساليب الإقناع فيه بأساليب الإمتاع، فتكون أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه، وثمّة علاقة تربط الحجاج بالإقناع، فالحجاج هدفه الإقناع، وما الحجّة وصياغتها إلّا منهج أو طريقة يتبعها المتكلّم، تؤدّي بالنهاية إلى الإقناع، ومن علامات الخطاب الحجاجيّ الناجح إحداث أثر واضح في المتلقّي، والتغيير أو التبديل في أفكاره.[٣]

ويتبيّن أنّ ما يسعى إليه كلّ حجاج هو إقناع المتلقّي، والإقناع بدوره يستمد قوّته التأثيريّة بوساطة ما يقدّمه المحاجج من وسائل إقناعيه، تمتلك الحجج الثاقبة للوصول إلى التصديق والقبول بها، ويتخذ الإقناع من المواقف، والسلوك، والمعتقدات،

---

(١) بلاغة الاختلاف، قراءة في تقنيات الحجاج في التراث النقدي: د. بدر بن عبد الرحمن، الدار المتوسطة للنشر، ط١، ٢٠٢٠م.

(٢) ينظر: الحجاج في الشعر العربي، بنيته وأساليبه: ١٣٤.

(٣) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٠م: ٣٨.

والعقل، والصور، والعاطفة، أدوات لتحقيق هذه الغاية، ويتّضح لنا أنّ الخطاب الحجاجي له أهمّية خاصّة في تحليل الخطابات الإنسانيّة وتفكيكها من وجهة نظر المقصد المتنوّع المتلفّظ الحجاجي، إذ يعمل هذا الخطاب على تشريح الشفرة الخطابيّة، لغرض فهم الرسالة الموجهة نحو المتلقّي.(١)

إنّ الخِطاب الحجاجيّ هو مجموعة من الجمل والفقرات والمتواليات والمقاطع المتفاعلة فيما بينها ((اتساقًا وانسجامًا وحواريّة، بوساطة مجموعة من الروابط والعمليات والعلاقات المنطقيّة، والبرهانيّة والاستدلاليّة والحجاجيّة، بغية التأثير والاقناع والاقتناع)).(٢)

وتستعمل في الخطاب الحجاجيّ وسائل وآليّات واستراتيجيّات من أجل إقناع الآخر، وهو ما يعني أنّ هذا الخطاب الحجاجيّ هو خطاب نقدي، هدفه بيان حجاجيّة الخطاب، ورصد الحوار النصّي فيه، سواء كان ذلك الحجاج صريحا أم خفيًا مُضمرًا.

الخطاب الحجاجي في الثقافة العربيّة والغربية:

١. في الثقافة العربيّة:

قد عرّف أبو بكر العزّاويّ، الخطاب الحجاجيّ بأنّه ((هو مجموعة من الأقوال والجُمل، ومجموعة من العلائق الدلاليّة المنطقيّة القائمة بينها، أو بتعبير حجاجي هو مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينهما أنماط مختلفة من العلائق، فالحجّة تستدعي الحجّة المؤيّدة أو المضادّة لها، والدليل يُفضي إلى نتيجة، والنتيجة تُفضي إلى دليلٍ آخر، وكلُّ قولٍ مرتبطٌ بالقول الذي يسبقه، ويوجّه القول الذي يتلوه، وبعبارة أخرى فإنّ الأقوال والجُمل تقوم بينها علاقات منطقيّة دلاليّة، مثل : الشرط ـ والسببيّة ـ والاستلزام ـ والاستنتاج ـ والتعارض))(٣)، وكلّها علائق حجاجيّة استدلاليّة، ومجموع

(١) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٣٩-٤٠.

(٢) حجاج الخطاب أو الخطاب الحجاجي: جميل حمداوي، صحيفة المثقّف، العدد، ٥٤٩٣٤.

(٣) حوار حول الحجاج: أبو بكر العزّاوي، الأحمديّة للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠١٠م: ٣٧-٣٨.

هذه العلائق هو ما يكوّن البيّنة المنطقيّة للنصّ، أو الخطاب المقصود، وهو ما نسمّيه عادةً بمنطق الخطاب أو المنطق الطبيعيّ.

٢. في الثقافة الغربيّة:

تعدّدت تعريفات النقّاد الغربيّين للخطاب الحجاجيّ، منهم روث أموسي التي تقرّ أنّ ((الحِجاج يخترق كلّ الخطابات بدرجات وكيفيّات مختلفة، ومن ثمّ فلا وجود لخطابات خالية من الحجاج، إلّا إذا افترضنا وجود خطابات تمثّل إجابات على ما هو بديهيّ، لا يُثير أيّ اختلافات، ففي هذا الحال ينتفي الحجاج، وبناءً عليه فإنّها تدعو إلى أن نستبدل بالتقابل الإشكاليّ بين الحجاجيّ واللاحجاجيّ)).[١]

أيّ أنّ الخطاب الحجاجيّ فحواه التأثير العاطفي على المتلقّي، وجذبه وجدانيًا وذهنيًا، وكذلك العمل على استمالة غير المخاطب والتأثير فيه عاطفيًا، مثل الخطاب السرديّ، الخطاب السياسيّ، الخطاب الشعري.

أنماط الخطاب الحجاجي:

١. الخطاب الحجاجي البلاغي:

البلاغة أداة لغوية للتعبير، وليست نوعًا من الخطاب، بل هي جزءٌ من كلّ خطاب، حتّى تنفذ معانيه إلى عقل وقلب المتلقّي (سامعًا كان أو قارئًا)، وما يقتضيه ذلك من وضوح، ومحسّنات، وإبانة، وإظهار، وإقناع، ويتّضح بعد قراءة البلاغة العربيّة، إنّ أقطابها وجّهوها إلى هدفين اثنين هما: الوضوح (الارتجال)، والتأثير (النفع)[٢]، أو حاجة الخطابة للبلاغة لإقناع الجمهور والتأثير فيه، وهذه الحاجة إلى البلاغة تعني بالضرورة الصورة البلاغية، والحجج والحِجاج، لتطلب التأثير،

(١) في بلاغة الحجاج، نحو مقاربة بلاغية حجاجيّة لتعليل الخطابات: محمد ميشال، كنوز المعرفة، عمان، ط١، ٢٠١٧م: ٦٠.

(٢) ينظر: البلاغة العربية أصولها وامتدادها: محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، (د. ط)، ١٩٩٩م: ٤٧٧.

والاستمالة للإبانة، والوضوح، وأساليب الإقناع عمومًا، وبهذا يتجلّى ما يسمّى (الحجاج البلاغي)، وعناصره المتوافّرة في النظرية البلاغيّة القديمة للعرب، مثل الشاهد عند (الجاحظ)، والذي يعدّه عنصرًا من عناصر الحجاج؛ لأنّه مرادف للحجّة والدليل والبرهان، والحجاج القائم على الشاهد عند الجاحظ دعامة لإرساء الحقائق وصرح العلم فـ ((مدار العلم على الشاهد والمثل)).[١]

وعلى الرغم من تجاوز الحجاج البلاغيّ الخطابة إلى الكتابة، وباقي العلوم فإنّه لم يزل محتفظًا بخصائصه الأصليّة يكسب تأييد المتلقّي عن طريق إشباع مشاعره وفكره معًا، حتى يتقبّل ويوافق على القضية أو الفعل موضوع الخطاب.

وهاتان الخاصّيتان تخوّلان بناء مفهوم خاص للحجاج البلاغي فيكون حجاجًا موجهًا إلى العقل والقلب معًا، وذلك لجمعه بين مضمون الحجّة العقلي إلى جانب صورها البيانية، أو ضمّه للتبرير العقلي أضافة إلى المحسّنات البيانيّة.[٢]

وليست البلاغة العربية القديمة وحدها التي أضفت طابع الأدبيّة على الحجاج البلاغي فحسب، بل حتى صاحب النظريّة البلاغيّة الجديدة (بيرلمان) الذي ذهب إلى القول: ((بأنّه لا يوجد أدب بدون بلاغة))[٣]، لكن على تَحدِّ هذا المصطلح ـ أي البلاغة ـ فنًا للتعبير، لحيازته أدوات تفتقد فعاليتها بقدر تلقّيها بوصفها مجرّد إجراءات بلاغية تمنح القيمة البرهانية حصانة من الهدر، كما تمنح منتج الخطاب الإيحاء القوي عن نفسه وعن الأشياء، ويقدّم لها بذلك الصورة لا تحمل المستمع على الفصل بين الإجراء والواقع.[٤]

وما دامت البلاغة هنا إجراء يُضاف إلى الحجّة، ليتشكّل بذلك (الحجاج البلاغي)، فهذا لا ينحصر على النصّ الأدبي وحده فحسب، بل ينسحب على جلّ

(١) البيان والتبيين: الجاحظ: ١/١٧١.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/١٧٤ـ ١٧٥.
(٣) البلاغة العربية أصولها وامتدادها: ٤٨٠.
(٤) ينظر: بلاغة الخطاب: ٨٠.

أنشطة اللغة والقول، إلى الخطابات اليوميّة الاعتياديّة، الكلام المتعدد الموضوعات: الصداقة، الاقتصاد، السياسة، ...إلخ، وفي هذا المعنى يقول مايير ((أنّ كلّ شيءٍ قد أضحى تواصلا من السياسة إلى الاقتصاد، إذ تجد العلاقة تقام وتفسخ بناء على فشل أو نجاح البلاغة))، وإذا كان كلّ خطاب تواصل، وكلّ تواصل يقوم على البلاغة، فإنّ وراء كلّ حجاج بلاغة، ووراء كلّ بلاغة حجاج، ما دام هناك استمالة يقصد بها الإقناع، وهكذا فالبلاغة تحقق التأثير والاستمالة، لكن لن تصل إلى الاقناع، وربّما حتّى الافحام بمعيّة الحجج والمحاقة، وهذا ما يعوز راي ج. روس التي تعتقد أنّ الصور البلاغيّة عملية أسلوبيّة تنشط الخطاب، ولها وظيفة إقناعية؛ لأنّ الصور والأساليب البلاغيّة هي تقنيات تستدعيها جمالية الإيصال والتلقّي، ولا يمكن الصمود أمام نفاذ العقل وتوقد الشكوك ما لم تدعم بحجج عقلية قوية تعمل على عكس المعتقد، وإزالة الشك وتحقيق الإقناع.(١)

لكن تتبع التسلسل الحجاجي في خطابٍ أو نصّ ما، ولا سيّما النصّ المكتوب، ليس بالإجراء اليسير، ولا المتمكّن منه دومًا، ومرد هذه الصعوبة، إلى تداخل أبعاد كثيرة في منتوج لفظي واحد، كالأبعاد التداولية، واللسانية، والبلاغيّة، والأسلوبيّة، والسيموطيقيّة، ما ينتج عنه تشابك معقّد لأوضاع الحجج ووظائفها، وخاصّة اذا تزاوجت هذه الحجج بين الظهور والإضمار، أو بين الإخفاء والبروز، ولكن تتبعها في الخطاب المكتوب سيكون أيسر لكشفها، على الأقل سيتشكّل هناك مجموعة (قراءات) أو فرضيات للقراءة نابعة عن عقول وحدوس واعية وثاقبة.(٢)

وهنا يأتي كلام الحجاج الحجاجي ذو طابع بلاغي دون ذكر الاسم الفرعي؛ لأنّه اصبح العنوان الرئيس.

---

(١) ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي: ١١٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١١٥-١١٦.

٢. الخطاب الحجاجيّ الفلسفي:

إنّ الحجاج ((بعدٌ جوهري في الفلسفة معرفة كانت أو تفكير؛ فضلًا عن فعالياته الأخرى: الخطابية أو التداولية والبلاغيّة، وبذلك يستبعد خلو مذهب أو تحليل فلسفي من الحجاج، بغضّ النظر عن أساليب هذا الحجاج وقيمته، فالتفكير الفلسفي تفكير حجاجي بامتياز، أي أنّ آليّة الحجاج في الفلسفة، ولنقل إجرائيّته، هي جزء من خدمة الكل، على عكس ما تمّ استخلاصه من النوع الحجاجي البلاغي؛ الذي عدّ بدوره أجزاء وآليّة، لكن في خدمة الحجاج)).[١]

وإنّ نوع الحجاج المتّبع والمعتمد في الفلسفة، يُشير إلى لزوم عدِّ الحجاج الفلسفي شرطًا حاسمًا لها، وبعدّها خطابًا للعقل والمعقوليّة، وهذا يجرّ عددًا من الاستشهادات التي تقضي بأنّ هذا الخطاب إذن هو خطاب الدليل والبرهان لا خطاب الحجّة والبيّنة تحقيقًا لغاية مناصري العقلانيّة من الفلاسفة وإرساء الحقيقة، وتفكير الحقيقة بذلك هو تفكير الدليل والبرهان لا تفكير الحجاج والتعليل، وفي هذا الرأي تفكير حاسم بين (البرهان) و(الحِجاج)، وهو في أبسط صوره الحسم والإثبات بالنسبة للبرهان في مقابل السطحيّة والثانويّة، كرؤية الحجاج من منظور خاص[٢]، ويعرّفان في الفلسفة:

البرهنة: إثبات أمر ما بوساطة أمور أخرى بحسب قواعد المنطق الصوري التي تقوم على عددٍ معيّن من المبادئ البديهيّة التي لا تفتقر إلى البرهان.[٣]

المحاجّة: نشاط ذهني يتداوله السائل والمُعلّل، أي النافي والمُثبت حول معانٍ هي ـ في آن واحد ـ معطيات نفسيّة اجتماعيّة، أي تبادل الحجج بفرض إثبات الرأي الشخصي، أو ردّ رأي الخصم، وغرض كـــلّ ذلك الإقناع وحصول

(١) الحجاج والاستدلال الحجاجي: ١١٦.

(٢) ينظر: أصول الخطاب الفلسفي: محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، (د. ط)، ١٩٩٥م: ٩-١٠.

(٣) ينظر: أصول الخطاب الفلسفي: ١٣.

الاقتناع.[١]

ونجد تفصيلًا أشمل وأدقّ لهذين المصطلحين، إذ يفرّق بينهما (طه عبد الرحمن)، بهذا الشكل:

الحجّة: تتميّز بخاصّيتين:

أ. إفادة الرجوع أو القصد: مشتقّة من الفعل (حجّ) الذي من معانيه الرجوع، وبذلك الحجّة هي أمر نرجع إليه ونقصده، ولا يفعل ذلك إلّا لحاجتنا إلى العمل به فهي التي يجب الرجوع إليه والعمل بها.

ب. إفادة الغلبة: يدلّ الفعل (حجّ) على معنى (غلب)، فيكون مدلوله هو إلزام الغير بالحجّة، فيصير بذلك مغلوبًا، فالحجّة بهذا دليل يقصد للعمل به، ولتحصيل الغلبة على الخصم.[٢]

البرهان: ((يتّصف بأربع خصائص))[٣]:

١. **التواطؤ.**

٢. **الصوريّة.**

٣. **القطعيّة.**

٤. **الاستدلال.**

إنّ علاقة الفلسفة بالبرهان((انطلاقًا من طبيعتها العقليّة أو العقلانيّة، يتجاهل أنباءه على أساس اللغة الطبيعيّة ذات الحمولة المجازيّة، وخاصّة الاستعاريّة بالتباساتها يتعيّن عند الكلام عن بعض المفاهيم والمقوّلات سواء داخل الممارسة الفلسفيّة أو خارجها، عدم نسيان خاصيّتها الاستعاريّة))[٤]، أي أنّ الفلسفة على الرغم

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، (د. ت): ١٣٧.

(٢) أصول الخطاب الفلسفي: ١٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٥.

(٤) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ١٤٥.

من معقوليّتها البادية، فهي مدينة الكثير للغة الطبيعيّة، وما تموج به هذه الأخيرة من استعارات والتباسات، وبهذا تصبح برهانيّة الخطاب الفلسفي مجازيّة أو شبيهة للبرهان.(١)

وهذا وإنّ صلاحيّة الحجاج الفلسفي تُقاس بمعايير خارجيّة خاصّة، أي أنّ قوّته وضعفه، اكتفاءه وعدمه، نجاحه وفشله في الإقناع، أي أنّ غاية الحجاج ليست الصواب والصحّة، بل التأثير أو التقبّل أو الإقناع.(٢)

٣. الخطاب الحجاجي التداولي:

يُحيلنا لفظ التداوليّة إحالةً مباشرة إلى نظريّة أفعال الكلام، ولنقل أفعال الكلام بمعانيها المتراوحة بين من تصدوا لهذا المجال من مجالات اللسانيّات التداوليّة الحديثة، ومثل أن نفصل في الحجاج التداولي لا بُدّ وأن يخرج إلى نقاط توضيحيّة لهذه النظريّة، وعلاقتها بما سنصل إليه لاحقًا، فهي تبحث عن كيفيّة اكتشاف المتلقّي مقاصد المتكلّم.(٣)

ترتبط نظرية الأفعال الكلاميّة بقطبين اثنين هما أوستن، وسيرل الذين قعّدا لها عن طريق محاولتهما لتقسيم الجمل، أو بتقسيم أوستن للجملة الخبريّة على وصفيّة، وإنشائيّة، ثمّ عدوله عن هذا التقسيم انطلاقًا من تساؤله: ((كم معنًى هناك على أساسه يكون قول شيء هو نفسه فعل شيء، أو يكون متضمنًا في قولنا شيئًا فعلنا لشيء معيّن، أو يكون بواسطة قولنا شيئًا فعلنا لشيء))(٤)، ومنه ميّز أوستن أفعالًا ثلاثة ترتبط بالقول.

---

(١) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ١٣٧-١٤٨.

(٢) ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي: ١١٧.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١١٨-١١٩.

(٤) نظرية الأفعال الكلاميّة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: طالب سيد هاشم الطبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، (د. ط)، ١٩٩٤م: ٧.

لقد اعتاد اللسانيّون النظر إلى الخطاب اللفظيّ الحجاجيّ كخطاب يتوفّر على خاصّيات بنائيّة وعمليّة، تجعله مختلفًا عن غيره من الخطابات: السرديّة، الحكائيّة، الإخباريّة، وهذه التصنيفات تقوم على أساس السمات الغالبة على كلّ خطاب متجسّد في نصّ ما ـ بالمعنى العام للنصّ ـ وليس بحدود فاصلة فصلًا مُطلقًا بين أجناس الخطاب النصّي، وهو ما نجده عند ج. ب. برونتكارت، الذي حدّد الخطاب في أنماطٍ أربعة: النمط السردي، النمط الحكائي، النمط التفاعلي (الحواري)، النمط النظري، وتصنيفه هذا مبنيّ على أسس لسانيّة داخليّة، ومع أنّ النصوص التفاعليّة الحواريّة، وكذا النظريّة هي الأكثر اقترابًا للحجاج، فإنّ أشكال النصوص الأخرى لا تخلو تمامًا من خصائص حجاجيّة، وبالمثل فإنّ النصوص الحجاجيّة بدورها لا تنعدم فيها كليّة بعض عناصر الأخبار والسرد[١]، ومع ذلك ستسعى المقاربة اللسانيّة ـ وحتّى الأدبيّة ـ إلى التعامل مع نوع خاص من التخاطب والتكلّم، ((وإذا كان هذا التخاطب مُحدَدا ببعده الحجاجيّ المتميّز، فهو خاضع لفظيًا لمثلثات سيمولوجيّة لسانيّة)).[٢]

ويترتّب على هذا أوّليّة رصد أفعال كلاميّة أو تكلّميّة لها مرجعيّة أو سياق مشترك بين المتكلّم والمستمع، أو بين المخاطب لتجنّب أزمة المرتكزات والمعايير التواصليّة والتأويليّة.

إن دراسة الحجاج في الخطاب اللفظي هو من شؤون التداوليّة؛ لخضوع الخطاب الحجاجيّ في ظاهره وباطنه لقواعد شروط القول والتلقّي، وتبرز فيه مكانة القصديّة والتأثير والفعاليّة، ومنه قيمة ومكانة أفعال الذوات المتخاطبة[٣]، وهي الأفعال أو الملفوظات التي يحملها أسو الديكرو في خدمة التوجيه الحجاجي، ((إذ يصنّف الحجاج في ضمن حقل التداوليّة المنسجمة في كتابه (Les mots dudis Course)،

(١) ينظر: الحجاج والاستدلال: ١١.
(٢) النصوص الحجاجية، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ع١٤، ديسمبر، ١٩٩٩م: ١٩.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠-٢١.

ويركّز على كلمات وعبارات أمثال: (أجد أن، لكن، حتمًا، زد، على)، ويجد أنّه زعم تمظهر وظيفتها الأولى في خدمة التوجيه الحجاجيّ، إلّا أنّها ليست ضروريّة للحديث عن الحجاج؛ لأنّ التوجيه الحجاجي لازم لمعظم ـ على الأقل ـ الجمل التي تحتوي دلالتها على توجيه، مثل: بتلفّظنا لهذه الجملة نحن نحاجج في صالح استنتاج معيّن))[١]، فهذا الجنوح من التخصيص إلى التعميم، يجعل لتداوليّة الأفعال والمفردات طالبًا حجاجيًا، أو يجعل الحجاج أو النفي الحجاجيّ منتميًا إلى مجال التداوليات.

- **طبيعة الخطاب الحجاجي:**

يُعدّ الخطاب الحجاجي جوهر العملية التواصلية الإبلاغيّة، غايته هو هدف كلّ قائم بعمليّة الإقناع والتأثير، من أجل أنْ ينصبّ اهتمام القائمين بالإقناع والتأثير على أفضل السبل وأقلّها كلفة ووقتًا وجهدًا في الوصول إلى تغيير اتجاهات الرأي العام، أو بناء اتجاهات جديدة أو تعديلها، أو لفت انتباه الجمهور المتلقّي نحو قضيّة معيّنة، وهو ما يفسّر أن المحاجج يتكلّم بقصد التأثير والاقناع.[٢]

يتعدد الخطاب الحجاجي بتعدد الأهداف والأغراض المتوخاة منه، فهناك الإشهاري الذي يستهدف استمالة الزبون (السلعة المادية والمعنوية)، باعتبار أنّ الحجاج والإشهار بوصفهما عمليتين لسانيتين وعقليتين، تعتمدان مبدأ استمالة الآخر، وترويض مشاعره وفكره، تمهيدًا لتعديل سلوكه ومواقفه العامّة من الأشياء المادّية والفكريّة، المشكّلة لرؤية العالم عنده، مع تبيان أنواع الحجج، وكيفيّة بنائها وترتيبها في الخطاب الإشهاري، تحقيقًا للترابط النصّي وتفسير بنياته، وفي هذا السياق يمكن تحديد كفاءة الخطاب الإشهاري، وقوّته الإنجازيّة، من حيث هو فعل كلامي كلّـــي مقامي.[٣]

---

(١) اللسانيات والتداوليّة: جون سرفوني:، ترجمة: حمو الحاج نهبيّة، مجلة التبيين، تصدر عن الجاحظيّة، الجزائر، ع ١٩، ٢٠٠٢م: ٧٦.

(٢) ينظر: الاقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية وآلياته العلمية: ٩.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٠.

فالخطاب الإشهاري يتصل بالحياة الإنسانيّة بالنظر إلى قيمته الاجتماعية والأخلاقية والحضارية والتجارية والثقافية، ذلك أنّ الإشهار بناء لغويّ دال يهدف إلى الإقناع، فهو ذو بعد تأثيري، قائم على الترويج للأفكار والسلع، فالعملية الإشهارية في صميمها فعل اجتماعي اقتصادي.

وهناك (الخطاب العلمي) الذي يهدف إلى تبليغ الأفكار المختلفة عن طريق الشرح والتحليل، وصولًا إلى البيان والتبيين، أو (الفهم والإفهام)، وهناك أيضًا (الخطاب الإعلامي)، وغايته الإخبار أو نشر المعلومات (حقائق أو مبادئ، أو مجادلات، أو إشاعات، أو أنصاف حقائق، أو أكاذيب)، على وفق اتجاه معيّن من جانب فرد معيّن، أو جماعة معيّنة، في محاولة منظّمة للتأثير في الراي العام، وتغيير اتجاه الفرد والجماعات، باستخدام وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير، ويسعى بدوره إلى التغيير في مواقف المتلقي وأفكاره.[١]

أمّا الخطاب الحجاجي الذي ((بوصفه نصًا مترابطًا متناغمًا، يقوم على وحدة معيّنة، لا تكون بالضرورة واضحة جليّة، بل قد تأتي على نحو خفي لا نكاد نلمحه)).[٢]

فضلًا عن ذلك، نجد بعض الخطابات الحجاجيّة لا يُمكن تصنيفها داخل تخصص ما، وتظهر هي الأخرى في شكل نصوص متماسكة ومتناغمة.

يتأسس الخطاب الحجاجي على مجموعة من الحجج غايتها الإقناع، وذلك ما ذهب إليه فينو حينما عدّ ((أنّ الخطاب الحجاجي خطابٌ غائيّ، وينفي أن يكون كلّ خطابٍ غائيٍّ حجاجيًّا بالضرورة؛ لأنّ هناك خطابات ذات غاية شخصيّة خاصّة لا تهدف إلى إقناع الآخر، كالخطاب الشعريّ، وبعض أنواع السير الذاتية، والمذكّرات،

(١) ينظر: الاقناع الاجتماعي، خلفيته النظرية وآلياته العلمية: ١١-١٢.

(٢) الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهليّة إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه: ٢٦.

أمثلة لخطابات غائيّة، ليست حجاجيّة))[١]، فمن ثمّ حاول فينو اعتمادًا على مفهوم الغائيّة أن يرسم مجموعة من التصوّرات والافتراضات، تتعلّق بتصوّره للمتلقّي، مركزًا في ذلك على المنطق الطبيعيّ، وبالاعتماد على المفاهيم التي طرحها كريز، في تصوّره للنظريّة الحجاجيّة، وتتمثّل هذه الافتراضات في:

١.تكون الخطابات الحجاجيّة الغائيّة منبثقة من قضايا أو أطروحات، تكون استدلالًا، وتترجم بكيفيّة مباشرة، أو غير مباشرة موقف الخطيب من إثباتات وأحكام وانتقادات.

٢.تحيل دائمًا في مضمونها على عنصر آخر، وُسِمَ أم لم يُوسَم في الخطاب (فرد، مجموعة، حالة اجتماعيّة، رأي عام، ... إلخ).

٣.يتجدد الخطاب الحجاجي إذن بوصفه يصف موقف الخطيب اتجاه موضوع أو مجموعة من المواضيع، وهو موقف يحدد مكانه الخطيب داخل التشكيلة الاجتماعيّة، ويتحدد دائمًا بالآخر كمرجع تحديدي.

٤. يتحدّث الخطاب الحجاجي عن كائن إحالي، يوجد على خارج الخطاب، ((ويكون الخطاب الحجاجي من أشياء تتعالق فيما بينها بمؤشّرات مادّية أو مكانيّة أو زمانيّة، كما ويتحدّث عن مواقف وآراء ومعايير، تمثّل تيارات أو انساقا من القيم، وعن سلوكات عامّة، أو مرتبطة بأوضاع خاصّة، تعبّر عن علاقة الأفراد أو المجموعات بالمعايير الاجتماعيّة)).[٢]

- **سمات الخطاب الحجاجي:**

انطلاقًا من هذه التصوّرات، يتراءى لنا أنّ الخطاب الحجاجي ـ كخطاب متميّز ـ يختلف عن بقيّة الخطابات الأخرى، وقد حاول بعض الدارسين تحديد ورصد سماته المائزة، ومن ذلك ما قام به بنوا رونو من خلال كتابه النصّ الحجاجي، إذ وظّف

(١) النظرية الحجاجيّة من خلال الدراسات البلاغية والمنطقيّة اللسانيّة: محمد طروس، دار الثقافة، المغرب، ط١، ٢٠٠٥م: ٩٠.

(٢) المصدر نفسه: ٩١-٩٢.

الميزات الآتية:

١. القصد المعلن:

المقصود به البحث عن أحداث تأثير ما في المتلقّي، أي إقناعه بفكرة معيّنة، وهو ما يسمّيه طه عبد الرحمن بـ (الإقناعيّة)، والتي عدّها من شروط التداول اللغويّ، وفي ذلك يقول: ((فعندما يُطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته، فإنّ مطالبته لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تندرج على منهج القمع، وإنّما تتّبع في تحصيل غرضها سبلًا استدلاليّة متنوّعة، تجرّ الغير جرًّا إلى الاقتناع برأي المحاور)).[١]

فالفكرة التي أوردها طه عبد الرحمن يعبّر عنها اللسانيّون بـ (الوظيفة الإيحائيّة في الكلام)، كما ((تكمن السمة القصديّة للحجاج في تحديد العلاقة الحجاجيّة، حين نعتبر العبارة (س) موجّهة لخدمة (ج)، تتحقق السمة القصديّة))[٢]، وقد أدرك رجال الإشهار أهمّية هذا الأمر، ونجحوا في استغلال هذا الشكل الناجح من أشكال التواصل، الأمر الذي يجعل كلّ مرسل للخطاب يسعى إلى توظيف القصد المعلن، مثل رجال السياسة، ورجال الإعلام، وغيرهم.

٢. التناغم:

من أهم الخصائص التي تميّز الخطاب الحجاجي عن الخطابات الأخرى؛ بعدّه خطابًا مستدلًا عليه، فهو ((يقوم على منطق ما في كلّ مراحله، ويوظّف على نحوٍ دقيق التسلسل، الذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات، سواء تعلّق الأمر بالفتنة، أو الانفعال، أو إحداث مجرّد تقدّم، وهو ينمّ ـ من هذا الوجه ـ عن ذكاء صاحبه، ويشي بمعرفته الدقيقة، بنفسيّة المتلقّي، وقدراته وآفاقه)).[٣]

---

(١) في أصول الحوار وتجديد الكلام: ٣٨.

(٢) النظريّة الحجاجيّة١١٠.

(٣) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٦٢.

Abstract

Patterns of Authority Speeches in the Abbasid Era

A Critical Study

Abstract

Analyzing discourse in general, and standing on its criticism in particular, is one of the modern linguistic topics, probing the depths of the text, and realizing important connotations and articulations in deducing the discourse's categories and the its purposes.

In fact, the researcher reviewed many previous studies, in detail or in general, related to her her topic (Patterns of Authority Speeches in the Abbasid Era- A Critical Study), as she mentioned them in the introduction of her thesis.

So, it is a study that combines theory and application, and it approaches two broad perspectives , the first of which is to touch on the critical elements in a field per se , namely, the speeches of the Abbasid era, and the second is the critical analysis of these speeches.

The study aims to explore the intentions spoken in the speech, and it relied on a technical descriptive approach, to show the coherence and cohesion of the text on the one hand, and to anticipate its critical features.

Based on the foregoing, the study analyzes the discourse critically, and to recognize the dimensions of the speech (intentional, stylistic, technical dimensions). The study included an introduction, preface and three chapters. The preface is entitled (Patterns of Power Discourse and Prose Arts - Diversity Pairing, Concept of Authoritarian Discourse). The first chapter is entitled (The Discourse between Arguments and the Authority). As the first topic of this chapter discusses argumentative discourse, and

the second topic addresses the political discourse in terms of vision and characteristics. The second chapter is entitled (Speeches of authority – A Study in Style), and it has two sections: The first topic talks about the syntactic structures, and the second topic focuses on employing the manifestations of the statement. The third chapter is entitled (The Artistic Structure of the Political Speech), and it contains two sections: The first section talks about Good initiation and disposability , and the second sections discusses the Qur'anic intertextuality.

These chapters were accompanied by a conclusion for the most important results, including: the diversity of discourse in the Abbasid era, some of which came in an explicit and direct form, such as the discourse of command, prohibition, appeal and questioning. Some of these speeches came in the form of an indirect implication , such as the discourse that comes in the form of news, or story. As the persuasion and influence are essential elements of discourse; Because the intentionality of reporting requires access to the mind of the recipient to convince him, and to influence him, away from violence and coercion. Most of the speeches of the Abbasid era were distinguished by creativity, since these speeches contained an artistic style, a precise literary formulation, and the use of different rhetoric styles, and the frequent use of the compositional style, in particular, the statement represented in the matter is for an artistic and aesthetic purpose.